فانَّ كلّ ذلك منقول دون فرق يذكر عن المباني النصرانيَّة التي وجدهـا العرب في فتوحـاتهم . وقد بيّن ذلك العلّامة جيرو دي پرانجه (Giraud de Prangey) في كتـابين ممتعين خصَّها بابنية العرب في الاندلس وصقلّية ومرّاكش (اطلب الجرنال الاسيوي J.As. 1842ª, 336 — 337) والمشرق الاختصاصي فان برگم (Max Van Berchem) في مقالة بديعة نشرها هناك (J. As. 1891ª. 411—495 :b.) وفي كتاب الصناعة العربيَّة للمهندس غايه (Al. Gayet: *L' Art arabe*) وغيرهم فكلّهم لسان واحد في اثبـات شبه مباني الاسلام الدينيَّة بالكنائس النصرانيَّة في ذلك العهد . فمنها ما يشبه الطرز القبطي ومنها مـا هو اشبه بالطرز البوزنطي او الطرز السوري على اختلاف الامة والبنّائين النصارى الذين كانوا ملتزمين العمل بحيث لا يجوز انْ يُدعى بناؤها بهندسة عربيَّة البتَّة (١ . فشتّان بين قولهم ورأي بعض المتبوسين كالمسيو سيديليو والمسيو غوستاف لوبون الذين بخسوا حقوق اليقين ونسبوا الى العرب ما كان للذمّيّين (الهٔ بقية)

النسيميّ الشهيد الحلبي

للطيّب الذكر السيّد يعقوب يوسفيان مطران حلب على الارمن

توطئة

ـبق في المشرق (٩ : [١٩٠٦] : ٢٦١ — ٢٦٢) ذكر السيّد يعقوب ورتبيد يوسفيـان الذي سُقف سنة ١٧٤٠ على حلب فدبّر ابرشيّتهـا الارمنيّة عشر سنين ثمّ رُقّي الى السدّة البطريركيَّة سنة ١٧٥٠ فتوفّي في ١٥ ايار ١٧٥٣ . وقد ذكرنا هنـاك تآليفهُ التي من جملتها ترجمتهُ لكتاب احد الآباء اليسوعيين كان نقلهُ الى الارمنيَّة السيّد يونان الطوقاتي وهو كتابٌ عجائب القربان للاب روسيتولي اليسوعي في مكتبتنا الشرقيَّة منهُ نسخة تاريخها سنة ١٨٣٩ يد

١) ودونك ما كتبهُ المسيو غابه في فاتحة كتابه L'Art arabe

C'est à regret qu'en tête de ce livre je me suis vu contraint d'inscrire ce titre consacré par l'usage « *l'Art arabe* » ... si jamais titre fut vide de sens, voire même en opposition absolue avec la chose qu'il définit, c'est assurément celui-là. L'Arabe n'a jamais été artiste ...

المنوري جبرائيل الحلو من قرية عيه فالخبر التاسع والثلاثون من هذا الكتاب عنوانهُ : « خبر النسيمي الذي ارتدَّ الى الايمان بواسطة القربان المقدس» . وهي قصَّة عجيبة جرت قديمًا في حلب الشهباء لا يزال ذكرها باقيًا الى يومنا . وعلى ظننا انَّ هذا الخبر زادهُ على اصل الكتاب سيادة المطران يعقوب كما تحقَّقهُ من نصارى حلب فيا نحن نرويهِ بحرفهِ ولعلَّ ادباء الشهباء يمكنهم ان يزيدونا في ذلك علمًا

ل . ش

خبر النسيمي الذي ارتدَّ الى الايمان بواسطة القربان المقدس

حقًّا ان القربان المقدس يدعو الجميع بلسان حالهِ حين تقدمتهِ وتقديسهِ قائلًا : تقدَّموا اليَّ يا جميع قبائل الامم . كما يتبيَّن في هذا الحادث العجيب الذي بهِ تلألأت العناية الالهية وتفاضلت نحو رجلٍ مسا نبيه من الامم الغريبة بواسطةِ مذهلة العقول ونادرة الوقوع . وذلك ان رجلًا ما اسمًا من شرفاء مدينة حلب ونبلائها ابتاع من لصوص بحريَّة برايرة جملة اسرى مسيحيين اختطفهم هؤلاء الخطَّافة من سواحل بحر ارمينية الصغرى . وكان فيما بينهم ابنةٌ جميلة الخَلْق والخُلق ذات ادب وحشمة . فلما وقع نظر سيدها عليها رشق بسهام محبَّتها وشرع يتأنَّاها ويتغدَّاها ويلاطفها لكي يجتلبها الى سوء معتقدهِ ليتزوج بها . اما هي فكانت تمانع وتدافع غير انهُ كان يلحُّ عليها بذلك فتارةً كان يرغبها بالوعد وتارةً يخيفها بالوعيد قائلًا لها : ان اطعتني جعلتكِ سيدة في بيتي على الجميع والَّا فأذيقكِ كل نكال وأنزل بكِ كل بلاء .

فلما رأت هذه الابنة العديمة الحظ شدَّة الحاحهِ عليها وانها لم تستطع ان تنجو منه سلَّمت لهُ بعد مجاهدتها ومقاومتها الشجيعة وارتضت بمعتقدهِ ولكن ظاهرًا فقط واما في الباطن فكانت محتفظة على الايمان المسيحي سرًّا . فاقامها رجلها كما وعدها سيدة على كل مَن في بيتهِ وصرَّفها بالجميع مخوَّلًا اياها كرامةً زائدة واحبَّها جدًّا لانها حلَّت من قلبهِ محلًّا جليلًا وحصل لها فيهِ منزلة سامية

واما والد هذه الابنة فكان ارمنيًّا واذ توفيت زوجته ارتسم كاهنًا . وبعد ذلك قصد ان يزور القدس الشريف لكي يسلِّي قلبهُ المحزون على فقد ابنتهِ وزوجتهِ . فركب سفينةً في البحر فلقيه القرصان فاستأسروه واتوا بهِ الى مدينة حلب مع جملة اسارى لكي يبيعوهم هناك . فدبرت العناية الالهية ان يشتريه ذاك السيد الذي كان قبلًا ابتاع ابنتهُ فأحضرهُ الى بيتهِ وجعلهُ بستانيًا وكان يتعب ويكدّ كثيرًا .

وفي وقت الغداء والعشاء كان يأتي صحبة عبيد آخرين ويأخذ طعامهُ من سيدتهِ

اما هذه المرأة فلما شاهدت شيبتهُ وشيخوختهُ اخذها الحنين عليه وكانت تودّه وتشفق عليه معتنية بهِ اعتناءً زائداً ولم تكن ترى قلبها الّا شديد التعطف عليهِ ومنجذباً اليه من غير ان تعلم سبب ذلك فحدثها ظنُّها ان ميل قلبها اليهِ لاجل شيخوختهِ

فاتفق انها شاهدتهُ يوماً يندب متوجعاً ويسكب العبرات متفجعاً ويتأوّه فتقدمت اليه سائلةً واستفهمتهُ قائلةً : ما سبب توجعك وحزنك وتفجعك والحال انني اعتني بك اكثر من رفقائك واعزك اكثر من كل الخدام والعبيد نظرائك . فاجابها والدموع تهمع من عينيهِ هاطلة وتنسكب جاريةً : انا لستُ ابكي يا سيدتي على شيءٍ مما ذكرتِ ولا اندب حظي لاني حصلت عبداً واسيراً بل بكائي وندبي على فقد ابنتي ووحيدتي العزيزة والجميلة جداً تلك التي كنت احبها نظير قلبي واودُّها كحدقة عيني فانها لا تزال مصوَّرة في وسط احشائي وكانها نصب عيني دائماً وكالشوك تنخسني وتجرح فؤادي ولا تدعني ان التذ متمتعاً بما تعزيني بهِ وتسليني باهتمامكِ الخاص بي بل كانها تدفعينهُ لي ادفعهُ انا لرفقتي العبيد . فعلى هذا ابكي يا سيدتي واندب واسفح العبرات واسحب التنهدات والحسرات من سويداء القلب

ثم بعد ذلك بايام قليلة رأتهُ ايضاً جالساً وحده يبكي ويذرف العبرات السخينة بقلبٍ جريح يشدة الوجع فرقّ قلبها عليهِ واخذها الحنين والاسف وتقدّمت اليهِ وانشأت تعزّيه بلين كلامها وتسأله عن جنسهِ ونسبهِ قائلةً : « من اية مدينة وقبيلة انت وما هي طائفتك وماذا كانت صناعتك ومتى فقدت ابنتك وما هو اسمها أخبرني »

فشرع يحدثها عن ذلك جميعهِ ويخبرها بجملة هذه الامور بالتفصيل . واما هي فكانت صاغية اليهِ وتعي لما يقول فاستدلّت من قراين خطابهِ وبعض ما حدثها بهِ انهُ والدها . ولكي تتأكد الامر جلياً وتحققهُ ليكون بريئاً من كل مظنة وشبهة اخذت تتامل ملياً فيهِ وتحقق نظرها في وجههِ فتحققت من بعض علامات واضحة انهُ ابوها . فحينئذٍ اوضحت لهُ ذاتها واعلمتهُ بنفسها قائلةً : « انا هي ابنتك الوحيدة التي تبكي متفجعاً عليها ولا تريد ان تتعزى لفقدها »

وعليك ايها القارئ ان تلاحظ كم فاض في قلب هذا الاب وابنته من وفور التعزيات والتسليات حينما عرفا بعضهما بل اي سرور حصل في قلب هذا الوالد الحزين والشيخ

الاسير حينما شاهد في حال اسره ويأسه ابنتهُ التي كان قطع الرجاء من النظر اليها فهذا لعمري لا استطيع الوفاء بوصفهِ والتعبير عنه . بل يكفي ان اقول في شانهِ هذا فقط وهو انهُ عند مشاهدتهِ ابنتهُ المحبوبة منه وتحققهِ ذاتها اعتدَّ اسرهُ سعيداً ومباركاً لانهُ بواسطتهِ وجد وحيدهُ الضالّ وولدهُ الفقيد من عدة سنين فاعتنق حينئذٍ احدهما الآخر وتلاثما بكل شوقٍ وفرح . ثم توسلت الابنة الى ابيها بألّا يطلع على ذلك بعلها بل يكتم ما قد عرفهُ سراً . فقبل قولها . ومن بعد ذلك اقامهُ سيدهُ راعياً لغنمهِ من غير ان يطّلع على امرهِ

ولما كان يوماً جائلاً في بعض الصحاري لرعاية الغنم ابصر فيما بين تلالٍ معتزلة عن الناس امينة من طروق طارقٍ اليها ارضاً مكللاة اي ذات عشب ومرعى للماشية . ورأى في ذيل احدى التلال صخرةً مستوية بسيطة نظير مذبح فذكر انهُ كلامن وحرَّكهُ حينئذٍ الشوق لان يستعمل الكهنوت بتقدمتهِ لله خبز الفترة . فاقبل الى ابنتهِ وطلب منها باجاجةٍ حثيثة لأن تسعى لهُ سراً بالوشاح الكهنوتي وبكلّ ما يلزم للتقديس . فاعدَّت لهُ ما طلب ولمَّا حصل عليهِ شرع يتقدَّم في ذلك المكان كل يوم قداساً حسب رتبة الاربن وطقسهم

فاتفق بعد ذلك بايام يسيرة ان خرج سيدهُ صباحاً واقبل الى تلك البرّية ليفتقد غنمه فبينما كان جائلاً بتلك الفيافي نظر عن بعدٍ في ذيل تلّ شعاعَ نورٍ يسطع لميعاً كوميض البرق فتعجَّب من ذلك ولمَّا قرب منه شاهد اسيرهُ متسربلاً باثواب الكهنوت ومنتصباً بكل وقار وخضوع امام المذبح قائماً بخدمة التقديس وهو بناية المجد والبهاء والاغنام ساجدة بازائهِ . فازداد تحيراً من قبل مشاهدتهِ تلك الاشعَّة الساطعة من المذبح فتقدَّم اليهِ وسألهُ قائلاً : ماذا تكون هذه الياقوتة اللامعة والجوهرة الساطعة المنبثق منها مثل هذه الانوار التي تخطف الابصار والغنم راكعة لها وساجدة امامها . فاجابهُ عند ذلك بحرارة واوضح لهُ علانيةً قائلاً : ان هذا النور الذي تشاهدهُ هو قدوس القديسين المسجود لهُ من جميع المسيحيين لانهُ يحتوي على جسد سيدنا يسوع المسيح ودمه الاطهرين الذي تجسد لاجل خلاص البشر

فلما سمع ذلك الشريف منهُ هذه الصفات رام ان يأخذ جزءاً من القربان المقدس ليحتفظ عليهِ في بيتهِ . فاخذ جزءاً وادرجهُ في منديل نقي واصحبهُ الى منزلهِ ووضعهُ

بكل اكرام في مكان مستشرف عالٍ لكي لا تبلغ اليه يدٌ وكان يشرق منه نورٌ بارقٌ لامعٌ وينبعث عنهُ شعاعٌ مضيءٌ ساطع حتى كان يخال في ذلك المكان الليل نهارا

ولاجل هذه العجائب رغب ذلك الرجل الحسيب ان يتعلم اسرار الايمان المسيحي فدعا عبدهُ الكاهن وطلب منهُ ان يطلعهُ على جميع حقائق الايمان فاوضحها لهُ فقبلها وبعد هنيهة من الزمان تنوّر من الروح القدس وآمن واعتمد بيد ذلك الكاهن اسيده . فيا لهما من فرحةٍ عظيمة حصلت حينئذٍ في قلب تلك السيدة زوجته فبلا شكّ ان فرحها عند وجودها زوجها مؤمناً كان اعظم من فرحها حين وجدت اباها ومن شدة السرور والفرح الذي اشتمل قلبها لم يسعها من دون انها ابانت عن نفسها حالاً واوضحت انها ابنة ذلك الكاهن وهو ابوها

فحصل لذلك الشريف من سماعه هذا الخبر فرح مضاعف وصنع في ذلك اليوم عيداً عظيماً في بيته . وبعد ذلك ليس انهُ اعتق الاب وابنتهُ فقط بل خولهما مع ذلك عطايا جزيلة ووصلهما بعملات وافرة اغناهما بها . ثم اخذهما ومضى صحبتهما الى ساحل البحر ومن هناك ركبهما في احدى السفن وارسلهما الى بلادهما

وانثنى راجعاً الى مدينته مجاهراً بالايمان المقدس حيث انهُ لم يرتض ان يضع السراج تحت مكيال بل وضعهُ على منارة اي انهُ لم يقنع بان يعتقد بايمان المسيح بالسر باطناً فقط بل كان يجاهر به ظاهراً ايضاً منذراً بحقيقته بالازقة والشوارع معترفاً بفمه ما اعتقدهُ بقلبه وكان يعظ به على الامم بغير خوف ولذلك لما سمعوا اقواله ونظروا حاله هاجوا عليه غضباً واوقعوا عليه القبض والقوه في السجن وانزلوا به عذابات كثيرة متفننة وسلخوا جلده فظهر هو بازائها كالاناس الشديد الصلابة ولما رأوا انه بعد كل هذه العذابات لمستقام ثابتاً في الايمان المسيحي قضوا عليه بالموت قتلاً

وفيما هم ماضون به الى مكان الاستشهاد لم يكن يفتر لسانه لاهجاً وناطقاً بذكر الثالوث الاقدس الذي كان يعلم به وقتئذٍ منذراً وهو رافع رأسه واصابعهُ الثلثة الى فوق مشيراً بذلك الى تثليث الاقانيم . ثم انه لكي يقهر الامم الناكرين سر الثالوث الاقدس ويثبت لهم حقيقتهُ بآية ضرب حين خروجه من باب المدينة حجراً من الحجارة المشيدة في الباب باصابعهِ الثلثة قائلاً : يا سيدي رب السموات والارض ان كان سر الثالوث الاقدس الذي انذرت بهِ حقاً هو اجعل اصابعي هذه الثلثة تغوص في هذا

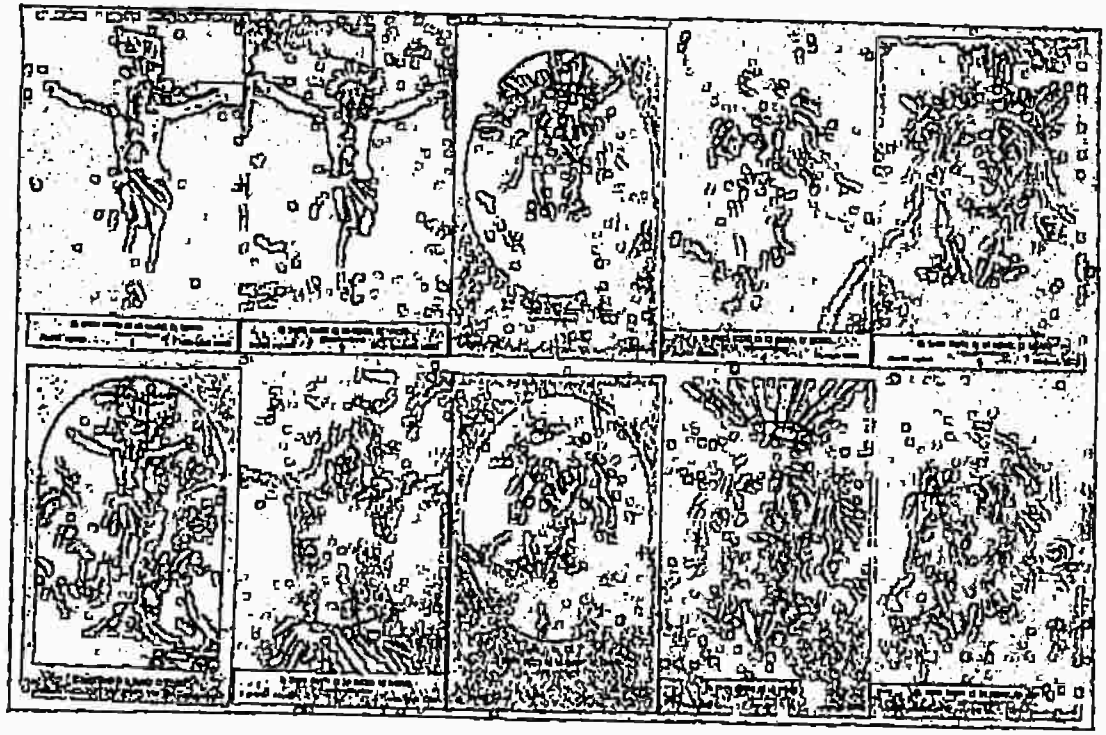

صورة المصلوب المجانيّ في لمياس في بعض هيئاته

(عن صور فوتوغرافية)

الصخر الاصمّ . فللعين يا لهُ من عجبٍ غاصت اصابعهُ في تلك الصخرة الصلدة كانها في ثلج لين . فتعجب من هذه الآية ليس المسيحيون فقط بل الامم ايضاً . ولاجل دوام تذكرة هذه الاعجوبة في حلب رام تعالى ان يستمرّ رسم اصابعه في ذلك الحجر الصلب حتى الى يومنا هذا في احد ابواب المدينة المدعو باب النصر . وحينما يمرّ المسيحيون من ذلك المكان وغيرهم كثيرون من الامم ايضاً يضعون اصابعهم في ذلك الرسم للتبريك . وهذا الشهيد الذي حدث بهِ هذا الحادث هو النسيمي المشتهر بهذا اللقب عند عامّة الناس في مدينة حلب . وحينما كان ماضياً الى مكان الاستشهاد وفعل هذه العجيبة بغرس انامله بالحجر الاصمّ كان جلده السلوخ ملقىً على منكبيه . وللمذكور نشائد وقصائد كثيرة نظمها في اعتقاد سر الثالوث الاقدس النير الموصوف وسر التجسد الالهي وقد صنع هذا الباسل النجيب عجائب كثيرة قبل استشهاده وبعده لم نذكرها هاهنا وانما اوردنا ما يختص بمقصودنا الذي نحن في صدد التكلم عنه . وهو ايضاح مفعول قوة القداس الالهي الذي بهِ استنار هذا الرجل الشريف وخلص بالروح ونال اكليل الاستشهاد ونجا الكاهن وابنته من الاسر وخلصا بالجسد

[illegible] وبعد نجاز طبع هذا الفصل اقتنا من حلب نسخة ثانية منهُ تفاهما مراسلنا الاديب شكري ايُّوب احد طلبة مدرستنا الاكليريكيَّة من كتاب تاريخ خطط سنة ١٧٥٢ فقابلناها مع نسختنا فلم نجد بينهما فرقاً يذكر . ومما افادنا المراسل انَّ اثر الاصابع داخل باب النصر فهناك حجران كبيران يبلغ طول احدهما مترين وربع وكلاهما يعرق لكثرة ما يمسح الناس بها الايدي تبرّكاً . وفي الحجر الاسفل آثار الاصابع فهناك ثقبان الواحد شمال القائم بازائهِ ويمكن الابهام ان يلج فيهِ . والثاني اوسع يمكن ادخال ثلاثة اصابع فيهِ . والمرجَّح انهما ثقبان صارا واحداً لكثرة ايلاج الناس من نصارى ومسلمين اصابعهم فيهما . وعلى الحجرين المذكورين كتابة يونانيَّة على ما يظهر سنعنى باستخلاص فحواها . وهي ثلاثة اسطر مكتوبة على عرض الحجرين بطول ٢٥ سنتيمترًا . وبازاء هذا المحل بزار للمسلمين تحرسهُ امرأة خارًا وتجمع الحسنات لايقاد قنديل عندهُ . اما تاريخ هذا المحلّ فلم يُعرف عنهُ شيء